

الصحافة الإيطالية وموقفها من الغزو الإيطالي لليبيا 1910 - 1911م

د. سالم فرج عبدالقادر*

المقدمة

لعبت الصحافة الإيطالية دوراً مزدوجاً غاية في الأهمية، فهي استخدمت كوسيلة من وسائل تعبئة الرأي العام الإيطالي لقبول فكرة احتلال ليبيا، كما كانت بمثابة أداة ضغط على صانعي القرار السياسي في إيطاليا للإسراع بعملية احتلال ليبيا. وتمكنت الصحافة الإيطالية من تطبيق أغلب متطلبات أية حملة دعائية فعَالة بشكل يكاد يكون تلقائياً من حيث «البساطة وقدرتها على جذب الانتباه وإثارة الاهتمام، وقابليتها للتصديق، وصلتها وارتباطها بالجمهور المخاطب بها، وتوافقها وعدم تناقضها، -إلى حد ما-، والتكرار المستمر لبعض عناصر الدعاية»[1].

واعتمدت الصحافة الإيطالية أسلوباً مبسطاً في صياغة حملتها الدعائية، وعلى بعض العناوين البارزة ذات الرنين التي يسهل حفظها وترديدها، وفي الوقت نفسه تخاطب عواطف الجماهير التي تنفعل معها انفعالاً كبيراً مثل (طرابلس الجميلة وأرضنا الموعودة) أو الاستناد إلى مبررات تاريخية واهية، أو الإشارة

* جامعة سبها، كلية الآداب.

1- عبد المنصف حافظ البوري، الغزو الإيطالي لليبيا، طرابلس، تونس، الدار العربية للكتاب، 1983م، ص 134.

للأهمية الإستراتيجية والاقتصادية لليبيا، وتصويرها بأنها الهدف المثالي لهجرة الفلاحين من سكان الجنوب. واتفقت جميع الصحف، باستثناء صحف المعارضة، على الإشادة بمقدار الربح الكبير الذي يمكن أن تحققه إيطاليا باستيلائها على ليبيا، وأثر ذلك على انتعاش الاقتصاد الإيطالي(2).

كما ركزت الصحف الإيطالية أيضاً على وصف التأخر والتخلف في ليبيا باعتبارها قطعة صحراوية قاحلة يسكنها بعض الرعاة، وأخذت تدعو إلى إعادة الأمجاد الرومانية في شمال أفريقيا والبحر المتوسط، واتسع نطاق الحملة الصحفية فشمل الليبيين في محاولة منها للتأثير عليهم سلبياً، حتى يشعروا بالإحباط وانعدام الثقة في نفوسهم، فشرعت الصحف تقلل من شأنهم، رامية إياهم بالتعصب وعدم التسامح وكراهية الآخرين الذين يخالفونهم في المعتقد خاصة الإيطاليين الذين يعيشون بينهم. وأما أخلاقهم فيغلب عليها طابع الوحشية والهمجية التي أكسبتها البداوة بكل ما فيها من صلف وتعنت وجهالة وانغلاق فكري، وكذلك نظرتهم السطحية والضيقة للأمور والعداء للحضارة والمدنية والتقدم(3).

وأخذت الصحافة الإيطالية تنادي بأن واجب الإنسانية يحتم على الحكومة الإيطالية أن تتولى إصلاح الحال في ليبيا، بعد أن فشلت الحكومة العثمانية وظهر عجزها للعيان في هذا السبيل، وطعنت في السيادة العثمانية عليها قائلة: إن السيطرة وحدها على إقليم لا تبرر امتلاكه ما لم يكن مقروناً بتحسينه ومراعاته سياسياً واقتصادياً، وأخذت تكرر هذه النغمة من وقت لآخر متحدثة عن ثروة البلاد المعدنية والزراعية وكيف يمكن استغلالها لو وجدت اليد العاملة، فهام الشعب الإيطالي بليبيا وأصبح يتغنى بها(4).

وطالبت الصحف الإيطالية بنشر رسالة الحضارة في ليبيا تغطية للأهداف

2- فرانسيس ماكولا، الغزاة، ترجمة: عبد الحميد شقلوف، طرابلس، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1979م، ص29.

3- إسماعيل مولود القروي، الغزو الثقافي الإيطالي لليبيا، طرابلس، جامعة الفاتح، رسالة ماجستير غير منشورة، 1984م، ص 93.

4- محمد رجب الزائدي، الغزو الإيطالي لليبيا، طرابلس، دار الكتاب الليبي، 1974م، ص82.

الحقيقية الاستعمارية، وهاجمت الحكم السائد فيها، واستنكرت تصرفاته العدوانية على الجاليات الأوروبية بصفة عامة والإيطالية بصفة خاصة، وانتهاكه لحرمة الكنائس والاعتداء على الرهبان والمبشرين بالشتائم والإهانات[5]. كما نشرت الأخبار التي تتلقاها من القنصليات الإيطالية في ليبيا القائلة بأن الوضع فيها قد صار بالغ الخطورة بسبب التحريض العام ضد الرعايا الإيطاليين، مما دفعهم إلى الإسراع بمغادرتها[6].

ومنذ شهر سبتمبر 1911م بدأت الصحافة الإيطالية تدعو صراحة إلى ضرورة غزو ليبيا واحتلالها حتى يتحقق التوازن في البحر المتوسط، وأكدت على صفحاتها أن احتلال ليبيا مسألة حياة أو موت بالنسبة للإيطاليين، ويجب أن يتم الآن أو لا يتم على الإطلاق[7].

كما قامت الصحف الإيطالية بنشر المنشور الذي أصدرته الحكومة الإيطالية والتي حاولت من خلاله إقناع الليبيين، ووعدهم بتخليصهم من نير الحكم العثماني، وجاء المنشور كالتالي: «عندما تطأ قدم إيطاليا ليبيا التي تتبعها جغرافياً، ويربطها بها أيضاً تاريخ مشترك، فهي تلبي بذلك رغبة أبنائها الذين يعانون منذ مئات السنين من الحكم العثماني المتمثل في القهر والاستعباد، وتؤمن لفئات الشعب نور الحرية والتقدم اللذين هما حق جميع الشعوب، فليتحرر كل إنسان من الخوف ومن تنكيل العثمانيين واضطهادهم، ومن الآن فصاعداً فإن جميع أهالي ليبيا مهما كان جنسهم ودينهم هم أبناء الوطن الإيطالي الكبير، وأن الحكومة الإيطالية تمتلك هذه البلاد باسمهم، وتضمن لكل واحد حقه وممتلكاته وحريته ودينه، إلا أنها لن تتوانى عن معاقبة كل من يعرض النظام العام وأمن المدينة للخطر ... لقد انبلج عهد جديد للحرية والمساواة والرفاهية، فلتدعموا

5- محمد مناع، جذور النضال العربي، طرابلس، دار الفكر، 1972م، ص 16.
6- جاك بيشون، المسألة الليبية في تسوية السلام، ترجمة: علي ضوي، طرابلس، منشورات مركز الجهاد، 1991م، ص 124.
7- وليم س. أسيكو، أوروبا والغزو الإيطالي لليبيا، ترجمة: ميلاد المقرحي، طرابلس، منشورات مركز الجهاد، 1985م، ص 64.

الجهود السامية للوطن الأم الإيطالي المشترك، ولتثبتوا أنكم جديرون بالحرية التي اكتسبتموها »[8].

وفي خطوة أخرى لتضليل الرأي العام قامت الصحف الإيطالية بنشر نداءات النجدة المزعومة التي مفادها « أنه قبل مدة من الزمن قد وجه زعيم عربي نافذ الكلمة في طرابلس الغرب رسالة إلى ملك إيطاليا يدعوه فيها إلى إرسال سفن حربية وقوات كي تتسلم البلاد لأن الأهالي سئموا الحكم العثماني »[9].

إن هذا النوع من الأخبار التي تقوم على قلب الحقائق والاستخفاف بعقول الشعوب قضي عليه في 23 أكتوبر 1911م، ذلك اليوم الذي أعلن فيه أبناء ليبيا الجهاد ضد القوات الإيطالية في معركة الهاني وشارع الشط[10] الشهيرة، الأمر الذي فرض شكلاً جديداً من التأثير الإيديولوجي، فالعربي الذي كان الإيطاليون قبل ساعات قليلة يخطبون وده غدا في نظرهم عدواً لدوداً وزادت حدة التحفظات الدينية، وأن فكرة رسالة المدنية المضللة سقطت ضحية الأعمال الانتقامية الدموية التي ارتكبتها إيطاليا بعد معركة الهاني وشارع الشط[11].

ونورد بعض ما كتبه مراسلو الصحف الأجنبية في ليبيا خلال شهر أكتوبر 1911م، عن هذه المجازر لمعرفة الفظائع البشعة التي ارتكبتها إيطاليا في حق الليبيين. فيقول مراسل صحيفة (فوسيشه تسايتونغ) الألمانية في طرابلس في مقالة

8- المرجع نفسه، ص 344.

9- غونتر بارتل، الغزو الاستعماري الإيطالي لليبيا على ضوء التقارير القنصلية والصحفية الألمانية، ترجمة: عماد الدين غانم، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، منشورات مركز الجهاد، العدد الثاني، 1984م، ص 344.

10- لقد أثارت مذبحة شارع الشط ردود فعل واسعة النطاق في الصحافة والرأي العام العالمي ومثلت بداية منعطف جديد في الحرب والعلاقة بين المجاهدين وقوات الاحتلال وأكدت لليبيين أن يدافعوا عن أنفسهم وإلا لن تكون لهم أمكانية الاستمرار، حيث أنهم لن يفقدوا أرضهم وثروتهم فقط وإنما سيخرون لغتهم وتقاليدهم وشرفهم وكرامتهم. للمزيد ينظر: الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط4، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2004م، ص 98 - 102.

11- غونتر بارتل، المرجع السابق، ص 346.

الذي نشره بعنوان: المعركة حول طرابلس « إن الإعدامات مستمرة، وأن الإيطاليين ينتقمون من العرب، وهكذا واجهوا خيبة أمل، إذ إن المجاهدين العرب يدعمون القوات العثمانية ويشتركون في القتال، بالإضافة إلى ذلك أعداد كبيرة من البدو عرب الواحة والمدينة ذاتها، والخسائر في الجانبين كبيرة »(12).

وقالت صحيفة (أكسلسيور) الفرنسية الصادرة في باريس خلال شهر نوفمبر 1911م، لا يخطر ببال أحد ما رآه مراسلنا بنفسه من مشاهد المجازر البشرية ومن أكوام الجثث من النساء والشيوخ والأطفال يتصاعد منها الدخان تحت ملابسهم الصوفية كالبخور يحرق أمام مذابح من مذابح النصر الباهر. وقد مر مراسلنا بمائتي جثة بجانب حائط قضي عليهم بأشكال مختلفة، وما إن مر من هذا المنظر حتى تمثلت أمام عينيه أسرة عربية قتلت عن آخرها وهي تستعد لتناول الطعام، ورأى طفلة صغيرة أدخلت رأسها في صندوق حتى لا ترى ما كان يحل بأهلها. لقد فقد الإيطاليون عقولهم وإنسانيتهم(13).

أما صحيفة (التايمز) فقد نشرت مقالاً جاء فيه: « إن الشدة التي استعملها الجيش الإيطالي في الانتقام من العرب الذين ثاروا يوم الاثنين يصح أن يقال عنها إنها كانت عمل قتل إجمالي بدون تفريق، وقد فتحت أبواب سفك الدماء، وفي أكثر الأحيان تجاوز الطليان كل حد ومثلوا بالأبرياء »(14).

ونشرت صحيفة (الديلي كرونكل) ما نصه: « ظل الجيش الطلياني ثلاثة أيام يطلق الرصاص على كل من يلقاه في طريقه بدون محاكمة، فقتلوا البريء والمجرم على السواء، وقتل عدد كثير من النساء والأطفال. وقد بلغ مجموع من قتلوهم من العرب من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة أربعة آلاف عربي، وصدرت الأوامر بإعدام كل عربي يوجد في المنشية، وأن يدخلوا المنازل واحداً واحداً »(15).

وذكر (هيرمان أرنز) المراسل النمساوي في صحيفة (زايتونق) الصادرة في

12- المرجع نفسه، ص 346.
13- محمد عبدالرزاق مناع، المرجع السابق، ص23.
14- الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 101.
15- المرجع نفسه، ص 101.

فيينا بتاريخ 25 أكتوبر 1911م، «أن الطليان أحرقوا الحي العربي الواقع خلف مبنى مصرف روما بطرابلس بعد أن ذبحوا أكثر سكانه»[16].

وقال (فون غوتبر) في كتابه المستعمرات: «إنه لم يفعل جيش بعدوه من أنواع الغدر والخيانة والجبن ما فعله الجيش الإيطالي في سكان ليبيا العرب، فقد كان القائد الجنرال كانيفا يستهين بجميع القيم الخلقية وبكل قانون حربي، ويأمر دونما مواربة بقتل جميع الأسرى سواء أقبض عليهم في الحرب أم في بيوتهم»[17].

وأخيراً يمكن القول إن هذه الحملة الإعلامية قد أثرت في الرأي العام الإيطالي وأوجدت مشاعر مسعورة ومفعمة بالروح الاستعمارية الصليبية، ومن خلال هذه الدراسة سنحاول عرض بعض النماذج من الصحف الإيطالية على اختلاف توجهاتها(القومية الكاثوليكية، الليبرالية، صحافة جنوب إيطاليا، الصحف المعارضة للغزو) ومواقفها من الحملة العسكرية الإيطالية على ليبيا.

أولاً: الصحف القومية

كان القوميون الإيطاليون يأملون في حرب مهما كانت تكاليفها ونوعها لتخليص إيطاليا من الاتجاهات السلمية والإنسانية والديمقراطية الأممية، وجميع ما يشابهها من تيارات كان يعتبرها القوميون قد أفسدت الحياة في إيطاليا، وأحالتها إلى حياة خانقة كئيبة، والسبب سياسة الحكومات الإصلاحية الضعيفة، وتزعم الحملة الإعلامية القومية الرامية إلى الحرب (أنريكو كوراديني Enrico Corradini)[18]، والذي كان باتجاهه الإمبريالي يرى في التوسع الاستعماري، وفي حرب الاستيلاء نظاماً أخلاقياً وأسلوباً للبعث الوطني، وكان يرى في تلك

16- محمد عبدالرزاق مناع، المرجع السابق، ص23.

17- المرجع نفسه، ص34.

18- أنريكو كوراديني، أحد كبار محرري صحيفة الفكرة الوطنية ورئيس الرابطة التي تحولت إلى الحزب القومي عام 1910م، وكان من المؤيدين بشدة للغزو الإيطالي، ولعب دوراً هاماً في تهيئة الرأي العام الإيطالي للحرب. للمزيد ينظر: خليفة التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، طرابلس، تونس، الدار العربية للكتاب، ص 225 - 226.

الحرب علامة لعصرية متحررة من أي نوع من وخز الضمير والنفاق الحضاري. وكل ذلك يعني أن العاطفيين والإنسانيين والمبشرين بالحب والسلام وفلاسفة الطبقات والثقافات الأممية هم فعلاً مناقضون لروح عصرنا، بينما يجب أن يعبروا عن الجانب الأفضل منها[19].

وقد استمر كوراديني يلعب دوراً مؤثراً في الصحف القومية الإيطالية مؤكداً على حاجة إيطاليا إلى المستعمرات من أجل رعاية مئات الآلاف من المهاجرين الإيطاليين، الذين قد تفقدهم إيطاليا في حالة عدم الحصول على مستعمرات. وفي ديسمبر 1909م، خطب كوراديني في مدينتي تريستي وفيسنزا مؤيداً السياسة الإمبريالية، ومجادلاً من أجل تنفيذها. وقد كان جريئاً وصريحاً في إبداء آرائه في كتابه (ساعة طرابلس) الذي صدر في سنة 1911م، والذي دعا فيه صراحة إلى احتلال ليبيا وأكد أن ذلك سيكون الخطوة الأولى في ترسيخ السياسة الإمبريالية الإيطالية، وحث القوميين على أن يضغطوا على الحكومة لكي تغزو ليبيا، وطالب بخطوات فورية من أجل إخضاعها للسيطرة الإيطالية[20].

وبينما كانت العلاقات الإيطالية العثمانية في حالة توتر في ديسمبر 1910م، التقى القوميون الإيطاليون في فلورنسا في أول مؤتمر لهم، بمشاركة عناصر من مختلف الاتجاهات من الاشتراكيين والليبراليين والمعتدلين والمحافظين. وقد ترأس المؤتمر (شيبيو سيغالي)، وتقرر فيه إنشاء لجنة مركزية للحركة القومية، ولجنة تنفيذية، وإنشاء الاتحاد القومي. وكتب النجاح للتيار القومي في هذا المؤتمر، وأخذت الحملة القومية تتحرك لصالح احتلال ليبيا، وقد حدد القوميون هدفهم المباشر في الصراع وشعروا أن إيطاليا كانت على مفترق طرق إما الاستيلاء على ليبيا في الحال للسير إلى الأمام، وإما التنازل عنها، والتخلف بصورة لا يمكن تلافيها[21].

19- إسماعيل مولود القروي، المرجع السابق، ص 176.

20- وليم. س. أسيكو، المرجع السابق، ص 38.

21- انظر كلاً من: فرانشسكو مالجيري، الحرب الليبية (1911 - 1912م)، ترجمة: وهبي البوري، طرابلس، تونس، الدار العربية للكتاب، 1980م، ص 46، ومحمود العرفاوي، مخاض =

وما إن حلت سنة 1911م، حتى أصبح للقوميين قوة وتأثير ونفوذ في الصحافة الإيطالية وفي البرلمان وفي مجلس الشيوخ، وقد دعا القوميون إلى ضرورة اكتساب مستعمرات جديدة، واعترفوا بأن الحرب هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك. وقرروا إنشاء صحيفة لهم تحت اسم (الفكرة الوطنية Dea Nazionale)، وهي تعتبر الصحيفة القومية الرسمية التي ظهرت كصحيفة أسبوعية في الذكرى السنوية لمعركة (عدوه) في 1 مارس 1911م، وسرعان ما تغيرت إلى صحيفة يومية. وقد كان من بين مؤسسي هذه الصحيفة (أنريكو كوراديني، ولوجي فيدرزوني Federzoni وفرنسيسكو كوبولا Coppola ومارافليا Maraviglia وفوجي دافانزاتي Forges Davanzati)[22].

وبمولد هذه الصحيفة بدأت حملة الصحافة لصالح احتلال ليبيا تتكلم بلهجة قوية، وبدأت في مخاطبة الرأي العام دون تردد، فنشرت الصحيفة في أول عدد لها مقالاً بعنوان: (ماذا نريد لطرابلس) خلص المقال إلى أن القضية الطرابلسية ليس لها إلا حل واحد، وذلك بأن تضع الحكومة الإيطالية الدولة العثمانية أمام مشكلة حادة، إما إيقاف الصراعات والاعتراف الصريح الكامل بحقوقنا في ليبيا، وإما الاحتلال العسكري، ولا يوجد اتفاق خارج هذا الخيار[23]. وكانت أهم فكرة حللتها الصحيفة من وجهة نظر القوميين هي الاحتلال الضروري لليبيا، وحظيت السياسة الخارجية، وسياسة التوسع الاستعماري مكانة كبرى في المقالات التي نشرتها الصحيفة[24].

وكان كوراديني أكثر من نادى بقوة باحتلال ليبيا، وأخذ ينشر أفكاره عن الحرب الضرورية ضد الدولة العثمانية، وقام بالعديد من الجولات في أنحاء إيطاليا وألقى محاضرات عديدة في مدن شتى وكرس جهوده لهذه الدعوة، وتفانى

=

الامبريالية والفاشية الإيطاليتين 1882- 1912م، ترجمة: عمر الطاهر، ج1، طرابلس منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1991م، ص 448.

22- وليم. س. أسيكو، المرجع السابق، ص 38 - 39.

23- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 448.

24- المرجع نفسه، ص 448.

من أجلها. وفي شهر يوليو 1911م، زار كوارديني ليبيا قبل أشهر قليلة من الغزو، وكان اهتمامه منصرفاً -في المقام الأول- لمعرفة الإمكانيات الموجودة فيها. وقد بالغ كوراديني في تصويره لهذه الإمكانيات، وأوهم القارئ الإيطالي أنه أمام جنة موعودة، فيقول في وقاحة نادرة: « إنني لا أكتب ذلك من أجل أهداف إنسانية تتوجب على إيطاليا نحو سكان ليبيا. وذلك أن إيطاليا ينتظرها واجب احتلال هذه البقاع من أجل أسباب ومبررات خاصة بها تتعلق بمصالحها في البحر المتوسط »[25].

وحاولت صحيفة الفكرة الوطنية من خلال مقالاتها التي نشرتها عن ليبيا أن تجعل منها مغنماً ينقذ الإيطاليين من فقرهم مستغلة الظروف القاسية التي يعيشها الإيطالي في بلده، وجعلت من الاحتلال حافزاً للانتقال إلى حياة أفضل مؤكدة على أن ليبيا بلد غني وخصب وإن كانت بعض المناطق تبدو صحراء فإن هذا يعود إلى البشر الذين كفوا عن إحيائها. إن هذه الأراضي لم تهمل لأنها جدباء بل هي جدباء لأنها مهملة[26].

وقد رفضت الصحيفة الدخول في المناقشات الدائرة بين مؤيدي ورافضي احتلال ليبيا، فبالنسبة لها مهما كان الحال فليبيا ثرية أو فقيرة فهذا لا يهم، لأن العامل الأساسي الذي دفعها للقيام بهذه الحملة كان ذا طابع سياسي ومتعلقاً بالسياسة التوسعية، وأن على إيطاليا أن تقوم بتعزيز موقفها في حوض البحر المتوسط إزاء القوى الاستعمارية الأخرى، وذلك باحتلالها لليبيا[27].

كما عملت الصحيفة على خلق ضغوط ضد تصرفات السلطات العثمانية المعادية للمصالح الإيطالية في ليبيا، وفي الوقت نفسه كان مراسلو الصحيفة الداعون إلى الحرب والذين زاروا ليبيا قبل الحرب يكتبون رسائل كثيرة عن قلة المجاملة التي يجدونها هناك، فيشكو أحدهم من أن الإيطالي في الجمرك بطرابلس وفي كل المكاتب العامة كان يترك لينتظر آخر الناس، ويقف آخر رجل

25- خليفة التليسي، المرجع السابق، ص 226.

26- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 448 - 449.

27- إسماعيل مولود القروي، المرجع السابق، ص 177.

في الصف، بينما يقف الإنجليزي والألماني والفرنسي في مقدمة الصف، ويصنف الإيطاليون عملياً مع اليونانيين والإسبان وأبناء أمريكا الجنوبية[28].

وكانت صحيفة الفكرة الوطنية تنادي باحتلال ليبيا بأسرع وقت ممكن، حتى ولو كان هذا الاحتلال على حساب الأوضاع الداخلية السيئة في إيطالية والتي تحتاج لاهتمام، وتدعو إلى تأجيل الإصلاحات الداخلية لسنوات عدة في سبيل تحقيق أحلام إيطاليا التوسعية، وقبل أن تفوت الفرصة على إيطاليا، وتكون ليبيا من نصيب دولة أخرى، وأخذ موضوع غزو ليبيا الاهتمام الرئيسي للصحيفة، وأصبح الموضوع المهيمن في السياسة الخارجية الإيطالية عامي (1910-1911م)[29].

وفي هذا الصدد يقول كوارديني: « يجب علينا أن نضرب قبل أن يضرب غيرنا، بالإمكان أن نؤجل تغيير الأوضاع في الجنوب لعشرات السنين، ولكن لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نغض الطرف عن الصراع بين إنجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا حول استقلال ليبيا، وإذا ازدادت مصالح هذه الدول فيها ستقضي على مصالحنا بدون شك »[30].

وبعد أن حققت صحيفة الفكرة الوطنية غرضها من حملتها الإعلامية في التأثير على الرأي العام، اتجهت إلى الضغط على الحكومة الإيطالية للتعجيل باحتلال ليبيا، وقامت بشن حملة شديدة على حكومة جوليتي المتلكئة في الاحتلال، الذي أصبح ضرورة لأزمة لا تقبل المماطلة من قبل الحكومة الإيطالية، فنشرت حول هذا الموضوع منتقدة سياسة (جوفاني جوليتي Giolitti)[31] قائلة:

28- فرنسيس ماكولا، المرجع السابق، ص 35.

29- جيري لينن فاولر، الاستيطان الزراعي في ليبيا، ترجمة: عبد القادر مصطفى المحيشي، مراجعة عبد الله إبراهيم علي، طرابلس، منشورات مركز الجهاد، 1988م، ص 50.

30- إسماعيل مولود القروي، المرجع السابق، ص 180.

31- جيوفاني جوليتي تولي الوزارة خمس مرات في عام (1892م، 1903م، 1906م، 1911م، 1922م)، وتم على يديه تنفيذ مخطط الغزو الإيطالي عندما تولي رئاسة الوزارة الإيطالية للمرة الرابعة (1911 - 1913م)، للمزيد ينظر: خليفة عبد المجيد المنتصر، ليبيا قبل المحنة وبعدها، طرابلس، منشورات وزارة الأنباء والإرشاد، 1963م، ص10 ص 11.

« إذا كان جوليتي شيخاً متردداً، فلا يجب أن يؤخر الأمة التي تجاوزت التردد والخطر الذي فرضته أنانية الاشتراكية الديمقراطية الجبانة، فإن كان جوليتي يماطل في هذه المرة فقد يلحق عمله هذا الضرر بإيطاليا، سنعرفه هذه المرة أنه أخطأ، وسيعاقب وكل خطأ سيكون خيانة »[32].

وقبل الغزو مباشرة نشرت الصحيفة على صفحاتها إدعاءات الإيطاليين بأنهم ذاهبون إلى ليبيا ليس لقهر أو استعباد السكان الذين هم الآن تحت القيود العثمانية، وإنما لإعادة حقوقهم لهم، ولمعاقبة الغاصبين ولجعلهم أحراراً، وأوصياءً على مصيرهم، ولحمايتهم من هؤلاء الغاصبين العثمانيين، وأي جهة أخرى يمكن أن تستعبدهم[33].

وقد جسدت صحيفة الفكرة الوطنية اتجاهاً كاملاً في الحياة السياسية والاجتماعية في إيطالية، وهو اتجاه القوميين المتطرفين، الذين يجمعون بين العناصر التي أعماها الهياج القومي المتحمس، وعناصر الأكليروس والفاتيكان والصناعيين الذين كانوا يبحثون عن سبل جديدة لتشغيل الصناعة الاستعمارية، وتحقيق المكاسب، ويبدو أن هذه العناصر هي التي كانت تمسك بدفة الحكم في البلاد، وتصنع قراراته الأساسية التي انتهت بالهجمة الاستعمارية على ولاية طرابلس الغرب في أكتوبر 1911م[34].

ثانياً: الصحافة الكاثوليكية

قامت الصحف التابعة لمؤسسة النشر لمدينة روما بالحملة الصحفية الكاثوليكية المنادية باحتلال ليبيا، وكانت هذه المجموعة من الصحف تشكل أمانة الصحافة الكاثوليكية (الأمانة Trust)، وكانت هذه الأمانة تحت رئاسة (جوفاني غروسولي Giovanni Grrosoli)، وتضم العديد من الصحف وهي: « بريد

32- فرانشسكو مالجيري، المرجع السابق، ص 56.
33- ليزا اندرسون، آراء غريبة في إصلاح عثمان في أواخر القرن التاسع عشر، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، منشورات مركز الجهاد، العدد الثاني، 1985م، ص 123.
34- إسماعيل مولود القروي، المرجع السابق، ص 177- 178.

إيطاليا Corriere d-Italia التي تصدر في مدينة روما، وصحيفة اللحظة Momento II التي تصدر في مدينة تورينو، وصحيفة مستقبل إيطاليا البولونية L, Avvenire d, Italia، وصحيفة المراسل التوسكانو Messagero Toscano II من مدينة بيزا، وأخيراً صحيفة بريد صقلية Corriere di Sicilia II التي تصدر في مدينة باليرمو »[35].

وكانت هذه الصحف تعكس بوضوح الاتجاهات الكاثوليكية الإيطالية الحديثة، وترغب في نفس الوقت في الابتعاد عن الكاثوليكية القديمة وعن الفاتيكان. وقد قال: (جابريال دي روزا Gabriele De Rosa) عن الصحافة الكاثوليكية الحديثة: « إنها صحافة لا تشبه في أي شيء الصحافة الكاثوليكية القديمة المتعصبة، وعلى العكس فإنها تشبه غالبية الصحف اليومية الحديثة الحرة والمطلعة، والتي تبدي اهتماماً بالغاً، وتريد المشاركة في المشاكل الكبرى للحياة السياسية الإيطالية »[36].

لقد كان الدعم اللامشروط الذي قدمته الصحف الكاثوليكية إلى مناصري استعمار ليبيا يفسر بالدعم المادي الذي تحصلت عليه مؤسسة النشر لمدينة روما، والتي كانت تعاني صعوبات مالية من الأوساط المالية الكاثوليكية بمدينة روما، والذين مولوا عدة مشاريع في ليبيا عن طريق بنك دي روما، ونشرت الصحف الكاثوليكية نفس المواضيع التي نشرتها الصحف القومية، والتي تهدف إلى إقناع الرأي العام الإيطالي بالحرب، وإزالة آخر المخاوف التي علقت بالأذهان الكاثوليكية[37].

ويذكر (مسيمودي سالفادوري Massimo Salvadori): أن بعض الصحف الكاثوليكية كانت تبدي اقتناعاً أكثر وثوقاً وجدلية أكثر حرارة ضد خصوم الحرب، وكانت تظهر نغمات وطنية في غاية الرنين وبدون حدود وشعوراً وطنياً في غاية التطرف، مثلما هو الحال في صحيفة بريد إيطاليا، التي أظهرت

35- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 450.
36- المرجع نفسه، ص 450.
37- المرجع نفسه، ص 451.

للرأي العام الإيطالي بكامله أن الكاثوليكيين لا يشكلون إلا وحدة مع إيطاليا، مع الدولة الموحدة[38].

وقد أيدت صحيفة (بريد إيطاليا Corriere d, Italia) التي أنشئت سنة 1906م، وانضمت بعد عام من إنشائها إلى الأمانة الكاثوليكية فكرة التدخل العسكري في ليبيا، وشنت حملة إعلامية عنيفة ارتكزت فيها على العديد من الشعارات، مثل: التنديد بالاضطهاد الذي تمارسه الحكومة العثمانية ضد الرعايا الإيطاليين، والإشادة بثروة ليبيا، وتمجيد العمال الإيطاليين فيها، وأخذت تطالب بضرورة اتباع سياسة خارجية أكثر حماساً وأكثر اندفاعاً نحو تحقيق أهداف إيطاليا في ليبيا[39]. وفي 14 يونيو 1911م نشرت الصحيفة تقارير حول الخطر الألماني في ليبيا واتهمت الحكومة الألمانية بأن لديها مخططات بعيدة المدى في ليبيا وأنها تسعى لاحتلالها[40].

كما قامت الصحيفة بالتنديد بضعف وزير الخارجية (سان جوليانو San Giuliano)[41]، وانتقدت الملك بصفة مباشرة الذي -حسب رأيها- هو المسؤول الرئيسي عن غياب إيطاليا عن الساحة الدولية، وانتقدت معارضته لأي عمل في ليبيا، معتبرة أن تصرفه هذا ضد الأماني العميقة للشعب الإيطالي[42]، وأكدت الصحيفة في مقال آخر نشرته في شهر سبتمبر 1911م -أي قبل بداية العمليات العسكرية في ليبيا- «أن الكاثوليك الإيطاليين لن يخضعوا لأحد، وسيستمرون في الدفاع عن مصالح ومجد بلادهم ...»[43].

38- المرجع نفسه، ص 452.

39- المرجع نفسه، ص 452.

40- وليم أسيكو، المرجع السابق، ص 55.

41- سان جيوليانو ولد سنة 1852م وتوفي 1914م، شغل منصب وزارة الخارجية الإيطالية مرتين، الأولى في الفترة (1905م - 1910م)، والثانية في الفترة (1910م - 1914م)، ولعب دوراً سياسياً كبيراً في التمهيد الدبلوماسي لاحتلال ليبيا وعقد الصلح مع السلطات العثمانية.

42- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 452.

43- وليم أسيكو، المرجع السابق، ص 63.

أما صحيفة (مستقبل إيطاليا L, Avvenire d, Italia)، فقد شنت إحدى أعنف الحملات الصحفية ضد السياسة الخارجية التي تتبعها الحكومة الإيطالية. ففي مقال بتاريخ 5 يوليو 1911م، عنوانه: (هجوم تركي آخر) هاجمت فيه الصحيفة سياسة سان جوليانو بعبارات قوية جداً، وبلهجة خارجة عن حدود اللياقة، جاءت كالتالي: « إن اليوم الذي ينزل فيه السيد دي سان جوليانو وهو رجل ذكي، ولكنه لم يعد نشطاً، حيث هو الآن فريسة لأمراض تصلب الشرايين والمفاصل التي لا تترك له فرصة للراحة، حين ينزل بخطواته العرجاء كمتقاعد، من سلم المستشارية سيكون يوم انفراج وأمل لإيطاليا »[44].

أما صحيفة (اللحظة Momento II) فقد نشرت في 22 يوليو 1911م مقالاً، حذرت فيه من خطر المطامع الألمانية في ليبيا. واتهمت القنصل الألماني في ليبيا بأنه كان ينفر العرب الليبيين من إيطاليا ليكسبهم إلى جانب بلاده[45]. وبتاريخ 12 سبتمبر 1911م، نشرت مقالاً آخر عنوانه: (تهديدات طرابلس) قامت فيه بتقديم النصح لرئيس الوزراء جوليتي بالابتعاد عن الاشتراكيين والعلمانيين أعداء الكنيسة، وبأن يقرر احتلال ليبيا، لأن احتلالها سهل، ولا يعدو أن يكون سوى نزهة عسكرية، ويجب على رئيس الحكومة أن يكف عن سماع التهديدات المضادة للاستعمار التي يطلقها حلفاؤه الأجانب[46].

وأمام صمت الحكومة الإيطالية، قامت الصحيفة بمهاجمة جوليتي مشبهة إياه بمؤيدي سياسة اليد النظيفة، الذين جعلوا من الإيطاليين عبيداً بعدما كانوا أسياداً في هذه الأرض التي ورثوها عن روما[47]. وطلبت من رئيس الحكومة أن يتبنى فكرة غزو ليبيا حتى ولو كانت صحراء جرداء، لأن كرامة إيطاليا التي أهينت على سواحل أفريقيا الشرقية لابد من إعادتها، وإعادة الثقة إلى الشعب

44- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 453.
45- وليم أسيكو، المرجع السابق، ص 57.
46- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 453.
47- المرجع، نفسه، ص 453.

الإيطالي، وطالبت بحشد القوى وكافة الطاقات لغزو ليبيا[48].

أما صحيفة (صوت العامل) التي تصدر في تورينو، والمنتشرة بكثرة بين أوساط العمال والفلاحين، وعلى الرغم من عدم انتمائها إلى الصحف الكاثوليكية، إلا أنها ضمت صوتها إلى الصحف الكاثوليكية لتمجيد هذه الحرب التي طال ترقبها. ففي مقال لها بعنوان: (إلى طرابلس) صدر بتاريخ 17 سبتمبر 1911م رددت فيه الصحيفة نفس الحجج، ووصفت هذه الحرب بحرب أخلاقية، حيث إنها حرب الحضارة ضد الهمجية، حرب المسيحية ضد الإسلام، وحرب الحرية ضد العبودية. وفي الوقت نفسه قامت الصحيفة بحملة إعلامية دعت فيها الحكومة الإيطالية إلى غزو ليبيا، وقدمت في البداية حججاً ذات طبيعة اقتصادية مركزة على ثراء ليبيا وعلى إمكانيات التشغيل الكبرى التي يمكن أن تقدمها للعمالة الإيطالية، ودعت الصحيفة الحكومة الإيطالية لكي تحذو حذو فرنسا وألمانيا اللتين ضمنتا لعمالهما المهاجرين آفاقاً جديدة وأسواقاً لتجارتها وصناعتها. وعلى غرار الصحف الإيطالية الأخرى قامت الصحيفة بمهاجمة المعارضين للغزو وخصوصاً الاشتراكيين الذين اتهمتهم بإفساد مصالح الأمة ومصالح العمال[49].

ثالثاً: الصحف الليبرالية

من بين الصحف المهمة الليبرالية التي شاركت في الحملة الصحفية، ولتهيئة الرأي العام الإيطالي لغزو ليبيا نذكر: (صحيفة المساء Corriere della Sera والصحافة LaStampa، والمنبر La Tribuna، جورنالي دي إيطاليا d, Italia Giornale).

وركزت الصحافة الليبرالية اهتمامها على محورين، أولهما نقد السياسة الخارجية للحكومة الإيطالية، وثانيهما وصف أسطوري لليبيا كأرض ميعاد حقيقية

48- علي عمر الهازل، الآثار الاقتصادية للاحتلال الإيطالي في ليبيا، مجلة الشهيد، طرابلس، منشورات مركز الجهاد، العدد التاسع، 1988م، ص 174.

49- انظر كلاً من: محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 454، وإسماعيل مولود القروي، المرجع السابق، ص 193.

للإيطاليين. وقد بدأت صحيفة الجورنالي دي إيطاليا حملتها الصحفية بمهاجمة وزير الخارجية دي سان جوليانو بسبب سياسته التي تفتقر إلى القوة تجاه السلطات العثمانية.

ومع بداية شهر يناير 1911م، طالبت الصحيفة من الحكومة الإيطالية اتباع سياسة خارجية فعالة، ونشرت مقالاً تحث فيه على ضرورة إعداد الرأي العام بطريقة تؤدي إلى وقوفه إلى جانب مثل تلك السياسة الفعالة. ومنذ بدايتها كانت الصحيفة أكثر وضوحاً في تحديد المسار الذي يجب أن تسلكه السياسة الخارجية الإيطالية تجاه ليبيا فقالت: «في البحر المتوسط ليبيا وحدها لازالت مفتوحة للنفوذ الإيطالي، وكذلك يجب إعداد البلاد لكل الاحتمالات»[50].

وفي 15 يونيو 1911م، وجهت الصحيفة اللوم للحكومة الألمانية واتهامها بأنها مناوئة للمصالح الإيطالية في ليبيا[51]. كما قامت الصحيفة بتوجيه انتقادات إلى شخص رئيس الوزراء الإيطالي جوليتي إذ قالت: «بينما تعمل كل الدول بجد من أجل تحقيق أحلامها الاستعمارية، يترتب على إيطاليا أن تبقى دائماً خالية اليدين، فقط لأنها محكومة من قبل دكتاتور يكره الحديث عن السياسة الخارجية، ومن وزير خارجية يفتقد تماماً للنشاط والإرادة»[52].

وسرعان ما انضمت صحيفة (الصحافة La Stampa) إلى الحملة الإعلامية، ففي عددها الصادر في شهر يوليو 1911م، نشرت الصحيفة مقالاً أكدت فيه: «إن الإبطاء بالاستيلاء على ليبيا يعني المخاطرة بآخر قطعة من الأراضي الأفريقية المطلة على البحر المتوسط، وتقويض موضع إيطاليا كدولة كبرى»[53].

كما قامت الصحيفة بإرسال أحد محرريها (جوسبي بفيوني Bevione)[54]

50- إسماعيل مولود القروي، المرجع السابق، ص 182.

51- وليم أسيكو، المرجع السابق، ص55

52- إسماعيل مولود القروي، المرجع السابق، ص 182.

53- وليم أسيكو، المرجع السابق، ص 54.

54- يعتبر بفيوني من كبار المتخصصين في شئون الهجرة ويؤيد أفكار كوراديني وأفكار الوطنيين، وقد أصبح نائباً سنة 1913م «جناح الوطنيين»، ثم عين وكيل وزارة لرئاسة =

إلى ليبيا، ويعتبر بفيوني أحد صانعي هذه الحملة الصحفية التي أدت إلى الحرب الليبية الإيطالية، وحاول بيفوني من خلال حملته الإعلامية تهييج الرأي العام الإيطالي، وتوجيه عواطفه نحو الماضي السحيق، حيث كانت الإمبراطورية الرومانية مترامية الأطراف، ولها ممتلكات في الشمال الأفريقي. فكتب في أحد مقالاته قائلاً: « إن الحكم الروماني الذي تلته آفاق حكم ليبيا من قبل العرب والعثمانيين كان يجب أن يخلفه حكم رابع سام أُعيد انطلاقه في نفس الأوطان، حيث جاءت إلى برقة حاملة نور الكتائب وأقوى الإدارات لإعادة الأوضاع القديمة، ولتعيد بناء المدن الخمس التي أقام فيها القدماء الرومان حدائق (الهيسبريدس) درة أفريقيا، وقرة عين البحر المتوسط »[55].

كما أشار بفيوني في سلسلة مقالاته التي نشرتها الصحيفة إلى الأهمية الاقتصادية لليبيا فقال: « رأيت أشجار توت ضخمة كأشجار الزان، وأشجار زيتون أضخم من أشجار البلوط، والأعشاب الطبية ممكن حصدها اثنتي عشرة مرة في العام، وتتطور أشجار الفاكهة تطوراً رائعاً، وإنتاج القمح والشعير يبلغ في المتوسط ثلاثة وأربعة أضعاف ما تنتجه خيرة أراضي أوروبا المزروعة بطريقة علمية، وتزدهر المواشي التي يصدر منها مئات الآلاف إلى مالطا ومصر »[56].

وفي مقال آخر وصف فيه بفيوني مدينة درنة بأنها: « تكتسي البساتين والمزارع بأشجار النخيل والزيتون والتين واللوز والمشمش والبرتقال، والبطيخ ينمو بصورة لا تصدق إذ تزن الحبة الواحدة ما بين عشرين وثلاثين كيلو جراماً »[57].

كما هاجم بفيوني رئيس الحكومة جوليتي بقوله: « بأنه من الضروري

=

الوزراء في الفترة من 1921 – 1922م، وانضم فيما بعد إلى الحزب الفاشي. للمزيد ينظر: فرانشسكو مالجيري، المرجع السابق، ص 61.

55- عبد المنصف حافظ البوري، المرجع السابق، ص 80.

56- فرانشسكو مالجيري، المرجع السابق، ص 62.

57- محمد مصطفى الشركسي، لمحات عن الأوضاع الاقتصادية بليبيا أثناء العهد الإيطالي، طرابلس، تونس، الدار العربية للكتاب، 1971م، ص 21.

الإمساك بالأمور الداخلية خاصة بعد وفاة كريسبي، وازدياد المشاكل والمسؤوليات الجديدة على الساحة السياسية الإيطالية، وأن مستقبل إيطاليا مرهون بذلك. ونبه رئيس الحكومة الإيطالية جوليتي إلى أن سياسة الانقياد المهمين لن نسمح بإتباعها، ودعاه إلى التحرك والعمل من أجل النهوض بإيطاليا، وطالبه بتغيير وزير خارجيته سان جوليانو وتحمل جميع مسئولياته وتغيير سياسته، لأنه إذا استمر فيها سيصبح مسؤولاً سياسياً وتاريخياً ومتورطاً أمام الأجيال القادمة»[58].

وفي شهر سبتمبر 1911م، نشرت الصحيفة مقالاً لبيفوني عنوانه: (الآن، أو أبداً) مؤكداً فيه أن احتلال ليبيا يجب أن يتم الآن أو لا يتم على الإطلاق[59].

وعلى غرار الصحف الإيطالية قامت الصحيفة بمهاجمة رئيس الحكومة جوليتي، ووجهت إليه رسالة مفتوحة تضعه فيها أمام مسؤولياته السياسية والتاريخية، جاء فيها: «لقد كانت إيطاليا في ذلك الوقت في حاجة إلى رجل دولة من حجم كريسبي، ولكن هذا الأخير لم يكن يملك الوسائل اللازمة لتحقيق السياسة الخارجية التي أراد اتباعها. إن إيطاليا تمتلك اليوم هذه الوسائل، لكن ينقصها الرجل القادر على استعمالها»[60].

أما صحيفة (المنبر La Tribuna) المقربة جداً من الحكومة الإيطالية، وهي شبه رسمية، ويرأسها جوليتي مباشرة بعد تدخله المباشر لدى بعض المؤسسات المالية والصناعية مثل المصرف التجاري والشركة السكرية (لينقير ليمار) بهدف دعم الصحيفة مالياً، والتي كانت تشكو أزمات مالية خطيرة. وتوصل جوليتي بفضل هذا إلى تعيين صديقه الشخصي (أوليندو مالاقودي Olindo Malagodi) مديراً للصحيفة[61].

وقد شاركت هذه الصحيفة في الحملة الإعلامية، فنشرت في عددها الصادر بتاريخ 7 يونيو 1911م، مقالاً ذكرت فيه: بأن الحكومة الإيطالية راضية على النتائج

58- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 437.

59- وليم أسيكو، المرجع السابق، ص 63.

60- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 436.

61- المرجع نفسه، ص 434.

الباهرة التي حققها بنك دي روما في شراء الأراضي في منطقتي الخمس وبنغازي[62]. وفي مقال آخر بتاريخ 3 سبتمبر 1911م، كتبت الصحيفة عن وزير الخارجية دي سان جوليانو مادحة إياه بقولها: «بأنه ساهم في نشر الثقافة الإيطالية في الخارج، وبفضل مجهوداته تم فتح عدد من المدارس الإيطالية في ليبيا»[63].

وفي عددها الصادر في 29 فبراير 1911م، وجهت الصحيفة الاتهام للوالي العثماني بطرابلس إبراهيم أدهم باشا[64]، وأنه كان وراء عرقلة الاستثمارات الإيطالية في ليبيا، وطالبت بضرورة إعفائه من منصبه، وإبعاده عن ليبيا[65].

وأخذت الصحيفة في تضخيم الإمكانيات الزراعية في ليبيا عبر المقالات التي كان يبعث بها مراسلها في ليبيا (جوسبي بيازا Piazza)[66]، فيقول في أحد هذه المقالات: «بالنسبة لليبيا توجد إمكانية خلق معجزة من الكروم والزيتون والفواكه والحبوب»[67]. كما نشرت الصحيفة العديد من مقالات جيوسبي بيازا

62- عماد الدين غانم، المصالح الألمانية في ليبيا خلال العقد الأول من القرن العشرين، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد الأول، 1983م، ص58.

63- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 438.

64- عين والياً على طرابلس وقائداً عاماً لجيشها في سنة 1909م ومنذ وصوله شرع في إصلاح ما يمكنا إصلاحه، وعرقلة التغلغل الإيطالي في ليبيا مما جعل الحكومة الإيطالية تلح على رئيس الوزراء العثماني حقي باش بنقله من ليبيا فوافق على ذلك وأصدر أمره بعزله في سبتمبر 1911م واستدعاه إلى اسطنبول ليفسح المجال للاحتلال الإيطالي. للمزيد ينظر: الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص45 - 47.

65- وليم أسيكو، المرجع السابق، ص 51.

66- جوسبي بيازا صقلي يهتم بالدراسة الأدبية والفلسفية ومرتبط بالثقافة الألمانية، تولى في عام 1919م رئاسة تحرير صحيفة لا تريبونا، وفي عام 1923م انتقل إلى صحيفة «جورنالي دي إيطالي» وظل بها حتى عام 1926 عندما التحق بصحيفة لاستامبا كمراسل لها من برلين وتولى أيضاً أمانة المعهد الاستعماري الإيطالي وساهم في تحرير مجلة بوليتيكا وقام بزيارة المدن الليبية طرابلس وبنغازي ودرنة وشحات.

67- وقد جمعت هذه المقالات فيما بعد في كتاب أطلق عليه اسم «أرضنا الموعودة» الذي نشر في مارس 1911م بعد أشهر من اندلاع الحرب بين إيطاليا والدولة العثمانية، للمزيد انظر: فرانشسكو مالجيري، المرجع السابق، ص 62.

التي يحرض فيها الرأي العام الإيطالي على غزو ليبيا، حتى إن العديد من المؤرخين الإيطاليين المنصفين اتهموه بتضليل الرأي العام الإيطالي، وتحريضه على العدوان، وإغرائه بأحلام خيالية، لم تلبث أن تحطمت على أرض الواقع سواء بالمبالغة في تصوير الاستعداد المزعوم للشعب الليبي لاستقبال الاحتلال وتضخيمه للإمكانيات الاقتصادية التي تتوفر في الولاية آنذاك[68].

وقبل الغزو مباشرة نشرت الصحيفة مقالاً ذكرت فيه: «بأن الحكومة الإيطالية تستعد الآن عسكرياً لغزو ليبيا ودراسة كل الفرص والإمكانيات الناتجة عن الاحتلال وأشارت إلى أن طبرق ستصبح ميناءً من الطراز الأول في شرق البحر المتوسط، وأشارت أيضاً إلى أن الدولة كالفرد لا تستطيع أن تعيش بالخبز وحده. إن شرف العلم الوطني وسمعة الجيش الإيطالي يجب أن تؤخذ في الاعتبار، ويجب العمل والمحافظة على هيبة إيطاليا في الخارج وفي عيون الإيطاليين ... والآن اكتشفنا أنه من أجل المحافظة على هيبة إيطاليا في الخارج، وفي عيون الإيطاليين هناك ضرورة لاحتلال ليبيا ...»[69].

ومع بداية العمليات العسكرية ونتيجة للمقاومة التي أبداها الليبيون وللتقليل من شأن هذه المقاومة نشرت الصحيفة على لسان مراسلها في ليبيا مقالاً جاء فيه: «أن القبائل الليبية قبائل ينقصها الانضباط، وبالتالي لن تكون لها أية قيمة عسكرية في مواجهة القوات الإيطالية»[70].

وتعتبر صحيفة (المساء Corriere della Sera) آخر كبريات صحف الأخبار الليبرالية التي دخلت في إطار الحملة الدعائية لصالح الحرب الليبية، وأصبحت فيما بعد الصحيفة الإيطالية الأولى دون منازع في تلك الحقبة، وكانت معارضة للمغامرات الاستعمارية في بدايتها. ويعلل مدير الصحيفة (لويجي

68- خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص226.

69- وليم س. اسكيو، المرجع السابق، ص 66.

70- حبيب وداعة الحسناوي، ملاحظات حول الأبعاد الأيديولوجية للسياسة الاستعمارية الإيطالية، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد الثاني، 1984م، ص 324.

البرتيني Albertini) هذا التأخير بعدم اقتناع الصحيفة بفائدة احتلال ليبيا من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية، ويؤكد على أن ما جعله يكسر هذا التأخير والتردد ويقنعه بمناسبة تأييد الحملة على ليبيا هو تدخل عوامل تقدير سياسية ومعنوية، والتحقق بأنه في تلك الحقبة لم تعد هناك إمكانية الخيار ما بين طريقين، فلم يعد في إمكاننا التخلي عن ممارسة حقوق(71) أقمنا عليها معاهدات وصداقات(72).

والحقيقة أن هذا التغيير لم يكن لاعتبارات سياسية وأخلاقية، بل كان نتيجة سلسلة من التدخلات والضغوط التي تعرضت لها الصحيفة ومديرها من قبل الحكومة الإيطالية وعلى رأسها وزير الشؤون الخارجية دي سان جوليانو، ولم يأت دخول صحيفة المساء للحملة الصحفية بعناصر جديدة، حيث إنها قدمت نفس الحجج التي قدمتها الصحف الإيطالية الأخرى، مع إضافة بعض التحفظات. فمثلاً عندما تساءلت عن القيمة الاقتصادية لليبيا وافقت على وجود آفاق واعدة في البلاد، ولكن لن يكون الأمر خالياً من صعوبات وجهود مضنية ستقابل المعمرين الإيطاليين في المستقبل(73).

وفي 12 ديسمبر 1910، طالبت الصحيفة بمركز الأفضلية للإيطاليين في ليبيا، واتهمت الحكومة العثمانية بأنها كانت تشجع في البعثات النمساوية في ليبيا بينما ترفض في الوقت نفسه منح التراخيص للبعثات الإيطالية المماثلة(74).

ونشرت الصحيفة على صفحاتها مقالاً للصحفي (أندرياتوري AndreaTorre) بتاريخ 18 سبتمبر بعنوان: (طرابلس والشعور الوطني) أكد فيه: « أن إيطاليا إذا وجب عليها احتلال ليبيا فالدافع لذلك ضرورة أقوى من إرادة

71- الوعود التي حصلت عليها إيطاليا من قبل الدول الأوروبية (فرنسا - بريطانيا - روسيا - ألمانيا - النمسا)، وتمثلت هذه الوعود في التخلي عن ليبيا للحكومة الإيطالية ومساعدتها في تنفيذ أطماعها الاستعمارية فيها للمزيد: أنظر وليم أسيكو، المرجع السابق، ص 15 - 32.

72- فرانشسكو مالجيري، المرجع السابق، ص 72.

73- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 444 - 445.

74- وليم أسيكو، المرجع السابق، ص 47.

الحكام أنفسهم، ضرورة سامية، وواجب سياسي تخضع له الضمائر الفزعة والمترددة»[75]. وفي مقال آخر لاندرياتوري نشرته الصحيفة أكد فيه: «أن سياسة التوسع ليست ناشئة عن نزوة الأمم، بل أنها وليدة حاجة راهنة، وأكثر من هذا أنها توقع لحاجة مستقبلية»[76].

وقد أحدث انضمام صحيفة المساء في هذه الحملة الإعلامية أثراً عظيماً لا يستهان به في القرارات اللاحقة التي اتخذتها الحكومة الإيطالية.

رابعاً: صحافة جنوب إيطاليا

كانت صحف جنوب إيطاليا حساسة بصورة خاصة للحملة الإعلامية، على أمل أن احتلال ليبيا قد يساعد على حل مشاكل الجنوب ويجعل منه الجسر الطبيعي ما بين المستعمرة والوطن الأم، وأن تمتص الهجرة الجنوبية، وزيادة على ذلك فإن جنوب إيطاليا سيشهد نمواً اقتصادياً، حيث كان الصحفيون الجنوبيون مروجين لهذه الأفكار التي تم نشرها للرأي العام في جنوب إيطاليا[77].

وكانت من بين الصحف الجنوبية التي شاركت في الحملة الإعلامية (صحيفة روما Roma، وصحيفة الصباح Mattino، وصحيفة بريد كتانيا Corriere Di Catania). وكانت صحيفة روما التي تصدر في مدينة نابولي مدركة للمشاكل الخطيرة التي عرفتها إيطاليا داخل حدودها، وترى أنه من الصعب بالنسبة للحكومة حلها، ولكنها لا تعتقد أن إيطاليا يجب أن تبقى على هامش الحركة الاستعمارية التي سارعت إليها الدول الأخرى بدون أن يشكل ذلك خطراً على وجودها. وفي هذا الصدد نشرت الصحيفة مقالاً بتاريخ 10 سبتمبر 1911م قائلة: «إن السياسة الداخلية قد تكون شيئاً عظيماً بالنسبة لإيطاليا ذات المشاكل الداخلية الكبيرة والعاملة على تحقيق الكثير من الإصلاحات، والتي عليها أن تعالج جروحاً مؤلمة كثيرة. ولكن إيطاليا لا تستطيع أن تنعزل عن بقية بلاد العالم، ولا

75- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 445.

76- غونتر بارتل، المرجع السابق، ص 345.

77- فرانشسكو مالجيري، المرجع السابق، ص 77.

أن تسلك حياة منعزلة، أو حياة انزواء، أو انفرادية دون التطلع إلى ما وراء الحدود إلى ما وراء البحر الذي يحيط بها. إن حياتها مرتبطة بحياة غيرها من الأمم، ويجب أن تتحرك وفقاً للحركة التي تدفع كل النظام الدولي»[78].

وحاولت صحيفة الصباح لصاحبها (أدواردو سكارفوليو Eduardo Scarfoglio) المعروف بعطفه على القوميين لفت نظر الحكومة الإيطالية أكثر من مرة إلى هزيمة إيطاليا في الحبشة، وأكدت على عدم التراجع أمام التحرك الخارجي الاستعماري، وذكرت أنه منعطف حاسم، ظل منتظراً بصورة محمومة لعله يكون جديراً بدولة عظيمة تنفق ستمائة مليون ليرة في العام على جيشها وبحريتها[79].

وفي يوم 27 سبتمبر 1911م، عشية إعلان الحرب على الدولة العثمانية قامت الصحيفة ببعث الحماس في الأمة عبر مقالاتها الوطنية الرنانة[80]، وفي هذا الخصوص نشرت في إحدى مقالاتها: «وبعد خمسة عشر عاماً على معركة عدوه وخمسة عشر عاماً من التقهقر العميق ألقينا السلاح خلالها، حين كانت البلدان المجاورة تتسلح وها نحن في الوقت الأشد ظلاماً وتعاسة، أرادت هذه الديماغوجية وهي في السلطة تجريد الوطن من رجولته ... فعند ذلك استيقظ ضمير الأمة، ونبض من جديد قلبها الذي لا يستسلم للموت، وفرض الحركة على الحكومة الأكثر تعصباً عن مثل هذه الأمور، والأكبر عجزاً عن التصرف بسبب روابطها السياسية»[81].

أما صحيفة بريد دي كتانيا فقد نشرت مقالاً لمراسلها (جوسيبي دي فليتشي Giuseppe de Felice) بتاريخ 27 أكتوبر 1911م، مع بداية الحرب، يرى فيه: «أنه باحتلال ليبيا فإن الوضع الاجتماعي سيتغير ويتطور ويأخذ شكلاً آخر، حيث يلعب دوراً اقتصادياً. إن صقليا والجنوب لن يظلا على هامش

78- عبد المنصف حافظ البوري، المرجع السابق، ص 84.
79- فرانشسكو مالجيري، المرجع السابق، ص 77.
80- المرجع نفسه، ص 78.
81- المرجع نفسه، ص 78.

الوظائف الحيوية لحياتنا الاجتماعية، بل سيصبحان نقطة وصل بين التجارة المتطورة لبلادنا الجميلة، والتي ينبغي تطويرها في بلد أوسع وأغنى أربع مرات من إيطاليا»[82].

خامساً: الصحف المعارضة للغزو

ظهرت أصوات المعارضة للغزو الإيطالي لليبيا ووقفت بشدة ضد التوسع الاستعماري فيها، وأوضحت مواقفها في الصحف والمجلات الخاصة بها. وارتكزت الحملة الإعلامية التي شنتها هذه الصحف على أساس تفنيد آراء وحملات الصحف القومية والليبرالية والكاثوليكية التي بالغت في الأهمية الاقتصادية لليبيا وأنها الحل الأمثل لإنعاش إيطاليا اقتصادياً.

وقامت صحيفة (لافانتي L, Avanti) الناطقة باسم الاشتراكيين بإعادة إطلاق الشعار الذي أطلقه اندريا كوستا Andrea Costa في البرلمان سنة 1896م، لا نمنح رجلاً واحداً ولا فلساً واحداً وكتبت تقول: «ليس على الحزب الاشتراكي أن ينبه مرة أخرى من جديد ضد المستشارين السيئين الذين يتزاحمون حول الحكومة لدفعها إلى المبادرة بالحملة، فقبل الاهتمام بليبيا هناك منطقتا كلابريا وسردينيا فهما تمثلان ثلثي إيطاليا ويالكم من بؤساء، يا من أصابكم هذيان حمى العظمة والقوة القومية أمَا نحن فسوف نقاوم بجميع الوسائل أية محاولة لدفع إيطاليا في مغامرات جديدة»[83].

وفي 18 سبتمبر 1911م، قام (توارتي Turati) بتوجيه إنذار إلى الحكومة مفاده: «أن أي عمل عسكري يجري في ليبيا سوف يواجه بالمعارضة الفورية من قبل الحزب الاشتراكي الذي يمثل أكثر الحركات الجماهيرية تنظيماً في إيطاليا إننا نعتقد أن الوقت قد حان لعدم إخفاء حقيقة أن الحزب الاشتراكي والطبقة العاملة المنظمة في إيطاليا يمتلكان من الوعي والقوة اليوم للقيام بالمواجهة، وأنهما قادران دون تردد أو تهرب على مواجهة الأعمال الحمقاء التي يقوم بها

82- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص 455 - 456.

83- المرجع نفسه، ص213 - 214.

البهلوانيون وأنهما قادران على أن يقولا لهؤلاء إلى الأمام يا سادة نحن جاهزون لملاقاتكم»[84].

كما قامت الصحيفة بشن حملات عنيفة على السياسة الاستعمارية، ووصف مزاعم المروجين للحرب بالقضاء على البطالة وامتصاص فائض السكان بأنها أحلام خيالية، ولا وجود لها سوى في مخيلة مروجيها، وأن أية مكاسب ستعود من الغزو ستذهب حتماً إلى الطبقات الرأسمالية، ولن تفيد الطبقات الأخرى، كما أن الاستيلاء على ثروات الشعوب الأخرى عمل غير إنساني، وأمر لن يخدم سوى الرأسماليين والحكام المتعاونين معهم[85].

وشاركت صحيفة (الطليعة) في الحملة المعارضة للغزو، ونشرت على صفحاتها العديد من المنشورات الموجهة للمجندين الإيطاليين جاء في أحدها: «لا تكونوا كالقطعان التي تنقاد في سلبية إلى المذابح، تعلَموا أن تستخدموا من أجل قضيتكم السلاح الذي وضع بين أيديكم، كونوا عازمين على ألا تضحوا بحياتكم من أجل رفاهية مستغليكم، بل سخروها من أجل خلاصكم. يا شباب العمال، يا من يدعونكم لدخول الثكنات، سيأتي العصر الجديد لو أردتموه»[86].

كما نشرت منشوراً آخر وقع عليه شباب الحزب الاشتراكي جاء فيه: «أيها الكادحون، إننا لا نميز بين لغة أو أرض. إننا نرى في الكادحين الليبيين الذين يُقتالون بأيدي الكادحين الإيطاليين الذين يسعون دون وعي لتدعيم البرجوازية المحلية، ونرى فيهم -أي الليبيين- إخوة لنا يعانون ويأملون في مستقبل أفضل. إننا نشعر بالفزع أمام هذه المجزرة الرهيبة، ونحس بالعار أن يتم ذلك بأيدي عمال إيطاليين في لباس البحرية. إننا مرعبون أمام هذا المشهد الرهيب لهذا الكم من البؤساء الذين ربما كانوا يحتضرون بين دوامات المياه المخضبة بالدماء، مبتهلين إلى أمهاتهم البعيدات، ونحن نضم أنفسنا إلى الأمهات اللاتي يستمطرن

84- المرجع نفسه، ص214.
85- عبد المنصف حافظ البوري، المرجع السابق، ص 148.
86- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص222.

اللعنة في هذه اللحظة الرهيبة على قاتلي فلذات أكبادهن»[87].

ونشرت الصحيفة مقالاً للصحفي (ليوني كتياني Leone Caetani) الذي يعتبر من أوائل الذين حذروا الحكومة الإيطالية من مخاطر عملية استعمار ليبيا، وأنها لا يمكن أن تكون لها أهمية إستراتيجية، وجاء المقال كالتالي: «إن شواطئها أكثر غدراً في جميع شواطئ حوض البحر الأبيض المتوسط لدرجة أن شواطئ سرت الليبية هي إحدى المرافئ التي كانت سفن القدماء أكثر تعرضاً فيها للغرق. ووضح كذلك أن ليبيا ليس بها طرق ولا موانى ولا سكك حديدية ولا مباني ولا شيء مطلقاً، ولذا فنحن من أجل الأسباب السامية جداً التي لا أفهمها يتوجب علينا احتلال ليبيا وعلينا أن ننفق ملايين لا حصر لها -أي مئات الملايين- في عمليات عسكرية. هل لدينا الكثير من المال لكي نلقي به هباء؟»[88].

وقد كان الصحفي كاتياني يخشى قبل كل شيء أن يتكرر المطب الذي وقعت فيه إيطاليا باحتلالها للحبشة الذي لا تزال البلاد تدفع ثمن نتائجه. وأكد أن العراقيل التي كانت تضعها الحكومة العثمانية أمام المصالح الإيطالية في ليبيا كانت نتيجة الضجة التي أثارتها الصحافة الإيطالية حول ليبيا ... وبما أن بنك دي روما «المعبر المباشر عن الفاتيكان» هو الممثل للمصالح الإيطالية في ليبيا فهو أمر يثير الشكوك حوله[89].

وشاركت صحيفة (ريفور ماسيوشيالي) في الحملة الإعلامية المعارضة للغزو فنشرت مقالاً لأستاذ العلوم المالية بجامعة (تورينو لويجي ايناودي Luigi Einaudi) أكد فيه على حقيقتين هما:

أولاً: إنه من الوهم الاعتقاد بأن إيطاليا يمكن أن تجني أرباحاً مهمة من ليبيا في أجل قريب على الأقل.

ثانياً: إن التضحيات الاقتصادية الضخمة التي سوف تفرضها المستعمرة الجديدة

87- المرجع نفسه، ص 222.

88- فرانشسكو مالجيري، المرجع السابق، ص 83- 84.

89- المرجع نفسه، ص 83- 84.

على إيطاليا هي حقيقة يجب مواجهتها بإدراك وهدوء[90].

كما قام ايناودي بالطعن في ادعاءات جوسيبي بفيوني حول الثروات الزراعية في ليبيا، مؤكداً أن الثروة الوحيدة في البلاد هي الكروم وربما الزيتون، أي إنها مثل المنتجات الإيطالية، وأنها إذا كثرت ستنافس بصورة غير سارة إنتاجنا في الداخل والخارج. كما كان يرى أنه من الضروري أن تستبعد إيطاليا -مقدماً- كل الآمال في أن تصبح المستعمرة بلداً منتجاً بالنسبة لميزانية الدولة، بل يجب الاقتناع بأن المستعمرة الجديدة سوف تكون سبباً دائماً للنفقات بالنسبة لإيطاليا، وهذه النفقات ستزداد كلما أحسنت إيطاليا القيام بواجبها[91].

وانتقد ايناودي الأعمال التي يقوم بها بنك دي روما بخروجه عن دوره لمزاولة الأعمال المصرفية إلى القيام ببعض الأعمال الزراعية والتجارية، لأن هذه الأعمال قد تكلفه خسارة كبيرة مادام يقصد من ورائها التدخل الاقتصادي في شؤون ليبيا[92].

وشارك الصحفي (إدوارد جيريتي Giretti)، وهو من أبرز ممثلي التحرر اليساري والمعارضين في الحملة الإعلامية المعارضة لغزو ليبيا، بمقالاته التي نشرها في الصحف الإيطالية ففي مقال نشره في صحيفة ريفور ماسوشيالي ذكر فيه: أنه يخشى أن يتبخر حماس جزء كبير من الشعب الإيطالي لصالح الحرب عندما تقدم فاتورة دفع الحساب، وأن الصبر على الاستثمارات طويلة الأجل لم يكن من مميزات الرأسماليين في إيطاليا. وشكك في إمكانية صبر المهاجرين الإيطاليين لليبيا، وانتظارهم للمكاسب لمدة تصل إلى عشرة أو عشرين عاماً[93].

وفي مقال آخر نشر على نفس الصحيفة ذكر جيريتي: « إن شيئاً غير نظيف وغير مؤدب أخذ يتغلغل في المجتمع الإيطالي، فالحماس الذي تثيره عملية الغزو

90- المرجع نفسه، ص 90

91- المرجع نفسه ص91.

92- مصطفى حامد رحومة، المرجع السابق، ص 75 - 76.

93- فرانشسكو مالجيري، ص 97 - 98.

ما هو إلا الطمع اللامحدود في ملك الآخرين، وذلك يدل على تقهقر سريع لإيطاليا من نموذج المدنية الصناعية الحديثة الذي أخذت تتجه إليه ببطء وتدريجياً إلى نموذج آخر لمجتمع بربري عسكري»[94].

واعتبر جيريتي عملية الغزو مضادة للمبادئ الوطنية، ومنتهكة لقانون الأخلاق الذي يرتكز عليه التعايش ما بين الرجال والدول، وكان يرى أن الحل الوحيد في ذلك الوقت هو سلام بشرف مع العثمانيين، وأن أية فوائد لن تستطيع أن تعيد للبلاد التضحية الثمينة من الدماء والمثل العليا التي تجرها الحرب وراءها[95].

وشارك عالم الاجتماع المشهور (جاتيانو موسكا Gaetano mosca) في الحملة المعارضة للغزو الإيطالي لليبيا، وكتب العديد من المقالات أكد فيها بأن الإمبراطورية العثمانية لن تتخلى بسهولة عن إحدى ولاياتها دون صراع مرير ... ويحذر من أن انضمام العرب إلى الدولة العثمانية سيجعل الحرب طويلة وصعبة وباهظة التكاليف[96].

كما شارك الصحفي (لويجي بارزيني Barzini) في الحملة الإعلامية المعارضة للغزو، وطالب بإصلاح أوضاع السكان في الجنوب من خلال مقالاته التي نشرها في صحيفة المساء، على الرغم من أن هذه الصحيفة من الصحف المؤيدة للغزو، فقال: «إن السكان الفقراء في جزء جميل واسع من إيطاليا يبدون فجأة وكأنهم يختلفون عنا كما لو أنهم من جنس آخر بعيد أو ينتمون إلى عنصر آخر بعيد، ولم تعد حياتهم ولا نفسيتهم تمت إلينا بأي صلة»[97].

وفي مقال آخر نشره بارزيني على نفس الصحيفة في 2 سبتمبر 1911م، تحت عنوان: (في بلاد الخرافات المتوحشة) وصف فيه الحالة النفسية العامة والطابع الاجتماعي في الجنوب فقال: «إن الجهل الذي يعانيه إنسان الجنوب الذي يشبه الجهل الحيواني تجاوز حد المعقول، فهو يتلمس طريقه في ظلمة، مخيفة وفي

94- المرجع نفسه، ص 98.

95- المرجع نفسه، ص100.

96- عبد المنصف حافظ البوري، المرجع السابق، ص151.

97- كلوديو سيجري، المرجع السابق، ص 51.

ضميره ليل عميق لا يعرف شيئاً، ولذلك يعتقد في كل شيء، والحياة الوطنية في نظره قصة أطفال خرافية. وفي أعماق هذه الظلمات المذهلة يوجد كابوس مخيف، كأنه حكم عليه بالإعدام وفي انتظار التنفيذ. ولا يمكن إلا أن يشعر الإنسان بالألم والتأثر عندما يسمع النساء الأمهات يطلبن منك في أصوات مضطربة الرحمة ... أنت أيها الأجنبي ... قل كلمة من أجل أولادي كي لا يقتلوهم»[98].

وذكر كذلك أن الحكومة الإيطالية تستعد لنقل المدنية والحضارة والمياه ورأس المال إلى عرب ليبيا -حسب اعتقاده- وأنها تتجاهل بذلك مشكلة الجنوب التي تعتبر المهمة الأولى والأكثر استعجالاً، والتي يترتب على الحكومة الإيطالية حلها ومعالجتها قبل التفكير في التوسع الخارجي، خاصة وأن هذا الجنوب يعاني من قلة المياه والطرق وغيرها من المشاكل الكثيرة التي يعاني منها سكان الجنوب[99].

وشارك أيضاً في هذه الحملة المعارضة للغزو المؤرخ (جيتانو سالفيميني Gaetano Salvemini) مدير صحيفة (الوحدة L, Unita) -التي صدر العدد الأول منها في 16 ديسمبر 1911م،- من خلال العديد من المقالات التي نشرها وكانت كلها موجهة ضد ما نعتها (بمغامرة طرابلس) وحارب بكل شجاعة ضد كل من كانوا يدفعون الشعب والحكومة الإيطالية إلى الحملة العسكرية، وكان واعياً لأهمية الصحف كأدوات دعاية، وطالب بضرورة وقف الحملة الصحافية الضخمة المؤيدة لغزو ليبيا والتي نظمها القوميون وكل مناصريهم، وقام بتنوير الرأي العام الإيطالي حول حقيقة الحملة العسكرية[100].

كما أكد سالفيميني في كتابه الذي حمل عنوان: (كيف ذهبنا إلى ليبيا) الصادر عام 1911م، على عدم صحة المبالغات التي غمرت الكتب والصحف في تلك الفترة، التي ضللت الرأي العام كثيراً، وخلقت حوله أطماع الثراء والمغانم التي سينالها من الغزو. وفي صحيفة الوحدة كتب قائلاً: «تقوم حملة صحفية مجنونة أساسها الأكاذيب وعدم الدقة والتزوير والطيش، ويتم ذلك في سرية

98- فرانشيسكو مالجيري، المرجع السابق، ص 86

99- المرجع نفسه، ص 87.

100- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص241- 242.

منظمة، والواجب الذي يقع على كل من لا يريد أن يتقدم إلى الأمام ورأسه في المخلاة أن ينبه البلاد إلى حقيقة الوضع المعاش، وإلى الأخطار الأكيدة التي ستنتج عن هذا الوضع»[101].

ورداً على إدعاءات جوسيبي بيفوني وأنوريا توري اللذين قالا إن ليبيا تساوي الملايين التي يكلفها الاحتلال العسكري، وأن مناجم الكبريت فيها تمتد لمسافة 1000 كيلو متر، كتب سالفيميني في 28 سبتمبر 1911م، مقالاً نشره في صحيفة (الصوت LaVoce) بعنوان: (الأرض الموعودة) جاهد فيه من أجل تحطيم أسطورة ثروة ليبيا الاقتصادية الهائلة، الأسطورة التي أنشأتها وغذتها الصحافة ذات النزعة القومية بقوة الأكاذيب والأخطاء والتشويهات، وعدم التروي، وكتمان الحقائق المنظم[102].

وكانت أهم المعارك الصحفية التي خاضها سالفيميني ضد دعاة الحملة العسكرية على ليبيا هي فضح تقرير (جيرالدو رولفس Geraldo Rohlfs) الذي أرسله إلى (فرانسيشكو كريسبي Francesco Crispi)[103] عام 1895م، والذي أوضح فيه أن ليبيا غنية بالموارد الطبيعة لدرجة تعويض أية نفقات تبذل في سبيل احتلالها، وأن الوطنيين الناقمين على الحكم العثماني كانوا ينتظرون وصول الإيطاليين كمحررين. ففي مقاله الذي حمل عنوان: (التزويرات الطرابلسية) أكد فيه: على أن هذا التقرير مزور، وقدم الدليل على ذلك من خلال فضح التناقضات والتباينات الواردة في هذا التقرير[104].

101- إسماعيل مولود القروي، المرجع السابق، ص 202.

102- محمود العرفاوي، المرجع السابق، ص243.

103- كان رجل السياسة الإيطالية في نهاية القرن التاسع عشر، وكان من أشد المتحمسين للهيمنة الخارجية والتحالف ضد فرنسا، وكان قد حرض على احتلال ليبيا، وقد تولى رئاسة الوزارة الإيطالية مرتين 1887 - 1893، إلا أن سياسته منيت بالفشل بعد هزيمة عدوه 1896م. للمزيد: ينظر مصطفى حامد رحومة، المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالي أكتوبر 1911م أكتوبر 1912م، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1988م، ص55.

104- فرانشسكو مالجيري، المرجع السابق، ص 114.

أما الناقد الأدبي (أوجو أوييتي Ugo Ojetti) فقد نبه الحكومة الإيطالية إلى أن مشاكلها المزمنة التي تعاني منها تكمن في الجنوب الإيطالي في جميع جوانبها المأسوية القاسية، ويجب عليها أن تولي عناية للإنسان الإيطالي في الجنوب الذي يعاني القهر والتخلف والتعسف، ونبه الضمائر إلى حقيقة الجنوب المؤلمة، وبذلك وضع إصبعه على جرح إيطاليا الملتهب، وطالب الحكومة الإيطالية بحل هذه المشاكل بدلاً من السعي وراء الأوهام الاستعمارية، والتي أدت إلى هزيمة عدوه 1896م، والتي تعاني منها إيطاليا حتى الآن. وكان أوييتي قلقاً بشأن المحنة الصعبة التي تمر بها البلاد نتيجة للمشاكل الاجتماعية واشتدادها[105].

الخلاصة

من خلال استعراضنا لمواقف الصحف الإيطالية يتضح لنا أن الصحافة اعتمدت على أسلوبين، أولهما: أسلوب جذب الانتباه وإثارة الاهتمام، وثانيهما: أسلوب التحريف وتشويه الحقائق، فهي تطرح موضوعات تثير اهتمام الرأي العام وتشده مثل المضايقات الاقتصادية التي يتعرض لها الرعايا الإيطاليون والمؤسسات الاقتصادية، كالخلاف الذي دار حول نشاط بنك دي روما، وقد تفننت الصحف الإيطالية في الافتراء والتجني على تصرفات السلطات العثمانية وسكان ليبيا، كما لجأت بعد ذلك لتحريف وتشويه الحقائق بالادعاء بأن السلطات العثمانية تمنع المسيحيين من ممارسة شعائرهم الدينية وتنتهك حرمة الكنائس، وتقوم بالاعتداء على الرهبان والمبشرين لمنعهم من القيام بواجبهم الديني، وكذلك من الاستقرار بالبلاد، وهي تتوقع رد الفعل المنتظر من هذه الادعاءات بتأليب الشعب الإيطالي بل والشعوب الأوروبية الأخرى إذا أمكن ضد الدولة العثمانية، وإعطاء إيطاليا حجة قوية وصكاً بعدم الممانعة في غزوها لليبيا.

كما ركزت دعاية هذه الحملة الصحفية على إحياء أمجاد الحكم الروماني في شمال أفريقيا، وأخذت تطالب بعودة هذا الحكم إلى ليبيا، وإعادة بناء المدن القديمة الخمس التي أقام فيها القدماء الرومان حدائق (الهيسبريدس) درة أفريقيا

105- إسماعيل مولود القروي، المرجع السابق، ص 200.

وقرة عين البحر المتوسط.

وعندما نجحت الصحافة في ذلك اتجهت إلى الضغط على صانعي القرار السياسي، وبدأت الأصوات تتعالى في إيطاليا مطالبة الحكومة بالإسراع باحتلال ليبيا، كما قامت بمهاجمة السياسيين المتقاعسين وتشويه صورتهم لدى الشعب الإيطالي، بسبب مواقفهم المتعلقة بقضية ليبيا مما جعلهم يعملون إلى إثبات عكس ما تقوله الصحف الإيطالية.

أما الصحف المعارضة فيتضح لنا أنها اعتمدت على تفنيد ما جاء في الصحف المؤيدة للغزو الإيطالي لليبيا، فمن الناحية العقائدية ذكرت هذه الصحف أن الاستيلاء على ثروات الشعوب الأخرى عمل غير إنساني، وأمر لن يخدم سوى الرأسماليين والحكام المتعاونين معهم، ومن الناحية الاقتصادية ركزت على عدم أهمية ليبيا الاقتصادية وأن عائدات الاستثمار فيها لن تكون إلا بعد فترة طويلة، وأشارت إلى ارتفاع النفقات الباهظة لهذه العمليات العسكرية، وطالبت بصرفها في عمليات الإصلاح الداخلي، وخاصة في مناطق الجنوب الإيطالي، ومن الناحية العسكرية فقد أشارت هذه الصحف إلى أنه لم يعد من المقبول تعرض إيطاليا لهزيمة أخرى، لأن ذلك يعني القضاء على دولة إيطاليا كدولة فتية، كما رفضت الزج بأبناء إيطاليا في حرب يعتقدون بأنها سوف تكون خاسرة.

وفي الختام نقول انتصرت الصحافة المؤيدة للعمل العسكري في ليبيا، وأصبح الرأي العام في إيطاليا مشبعاً بفكرة الحرب على ليبيا. إن دعاة الاستعمار لا ينحدرون من طبقة معينة أو ينتمون إلى حزب أو فئة خاصة، إنما هم خليط من اليسار واليمين، ومن الجمهوريين والكاثوليك والوطنيين والاشتراكيين، الشمال والجنوب ... الجميع أسهم في بث الحماس والشعور المؤيد للاستعمار في أوساط الرأي العام الإيطالي، بهدف كسب تأييد الغالبية العظمى من الشعب للمشروع الاستعماري، ودعم عملية الغزو العسكرية، باعتبار أن هذا المشروع هو الوسيلة الوحيدة لبناء إمبراطورية إيطالية وتحقيق مكانة دولية لها، وبالتالي حل مشاكل إيطاليا العديدة والمستعصية ومحو آثار فقدان تونس لصالح فرنسا وهزيمة (عدوه) أمام إثيوبيا وإعادة الأمجاد الرومانية في شمال أفريقيا.